من غزوات الرسول

غزوة بدر الكبرى

تأليف

حازم عفيفي

غزوة بدر الكبرى

الجمعة 17 رمضان 2هـ

أمر الله تعالى رسولَه ﷺ والمسلمين بالهجرةِ إلى يثرب (المدينة) ليعيشوا فيها في سلام، ويعبدوا الله آمنين مطمئنين، ويؤسسوا للإسلام وطنًا يحميه من خطر أعدائه المشركين في مكة، الذين يتربصون بهذا الدين، ويسعون للقضاء عليه، فقد آذوا رسول الله ﷺ هو وأصحابه أ شد الإيذاء، وعذبوهم أشد العذاب، حتى مات كثير من المسلمين وهم يعذبون في مكة على أيدي طغاتهم، ثم دبَّروا مؤامرةً للقضاء على رسول الله ﷺ، وأحاطوا ببيته بسيوفهم ليقتلوه، فأغشى الله تعالى أبصارهم، وأخرجه من بينهم سالما، ونجَّاه من أيديهم.

لقد كانت هناك ضرورةٌ للهجرةِ إلى مكانٍ جديدٍ، يجدَ فيه رسول الله ﷺ النصرةَ والتأييدَ، ويجدَ فيه أصحابه الحمايةَ، والحريةَ في العبادة والدعوة إلى الله تعالى، وهي المدينة المنورة التي كان اسمها يثرب.

استطاع رسول الله ﷺ أن يدعو إلى الإسلام بعض أهل يثرب (المدينة) الذين يفدون إلى مكة عاما بعد عام في موسم الحج، بدأ بستة منهم، تضاعف عددهم في العام التالي، وعادوا إلى قومهم يدعون إلى الإسلام.

وأرسل رسول الله ﷺ فيهم مصعب بن عمير رضي الله عنه ليعلّمهم ويفقّهم دينهم، فأسلم على يديه أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما، اللذان أصبحا دعاةً للإسلامِ بالمدينة، فأسلم بإسلامها الكثير، ثم جاء العام التالي ليأتي في موسم الحج بضعة وسبعون من أهل يثرب، فبايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الكبرى، وعادوا إلى أهلهم وبلادهم دعاةً للإسلام، فأسلمت المدينة كلها، واستعدت لاستقبال خير البشر محمد ﷺوأصحابه المهاجرين.

ولم يكن معنى الهجرة إلا التضحية بالمال، والمتاع، والأرض، فكان كلُّ مسلم ينجو بنفسه من قبضة مشركي مكة، ويترك كلَّ شيءٍ وراء ظهره، لكن أصحاب رسول الله ﷺكانوا مطيعين لله ولرسوله ﷺ، مضحين بكل شيءٍ في سبيل طاعتهما.

وكان المشركون يـ شعرون بخطر كبير في تجمع المسلمين في بلدٍ جديدٍ، يكون لهم فيه قوة، ويحاربوهم منها؛ فمنعوا ذلك بكل وسيلة، فكان المسلمون يتسللون في خفاء من مكة، ويخرجون في سرِيَّة تامة خفافًا لا يحملون من متاعهم شيئًا، فمن أدركه المشركون منهم منعوه وحبسوه، أو جردوه من أمواله، وتركوه يخرج معدما لا مال له ولا متاع!

فهذا صهيب الرومي ﷺ لما أراد الهجرة قال له كفار قريش:

- أتيتنا صعلوكًا حقيرا، فكثر مالُكَ عندنا، ثم تريدَ أن تخرجَ بمالِكَ ونفسِكَ؟! لا يكونُ ذلك أبدًا!

فقال لهم صهيب ﷺ:

- أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتتركوني وتخلُّون سبيلي؟

قالوا:

- نعم.

فقال صهيب ﵁:

- فإني قد جعلتث لكم مالي.

فتركوه يهاجر وقد أخذوا مالَه، فلما قَدِم إلى المدينة، قال له الرسول ﷺ:

- ربح البيع يا صهيب.

وهذا ضرار بن الأزور ﵁ ترك للمشركين بمكة ألفَ بعيرٍ برعاتها ليسمحوا له بالخروج، فنجا بنفسه من أيديهم بغير راحلة.

وهاجر بيتُ آلِ جحشٍ أولاد عمة النبي ﷺ أميمة بنت عبد المطلب، كلُّهم من بيت واحد: عبد الله، وأبو أحمد، زينب، وحمنة ﵃، وكان بيتُهم أفضل بيوت مكة وأكثرها اتساعاً، فاستولى عليه عدو الله أبو جهل، فشكى عبد الله بن جحش ذلك لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ:

- ألا ترضى أن يرزقك الله مكانه بيتاً في الجنة؟

وهكذا انتقل المهاجرون إلى يثرب (المدينة) بغير مال أو متاع، فاستقبلهم أهل المدينة (الأنصار) خير استقبال، ليضرب الأنصار أهل المدينة أروع الأمثلة في الإيثار، والكرم، والتعاون، وقد آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فقاسمهم الأنصار، أموالهم، ودورهم، وأراضيهم عن طيب خاطر ومحبة صادقة.

وأصبح الجميع على قلب رجل واحد، وأصبح للإسلام بلدٌ آمنٌ يحافظ على الدعوة الإسلامية ويحتضنها، وأصبح قادراً على مواجهة قوى الكفر التي كانت تتربص به.

وحدثت مناوشات بين المسلمين والمشركين في عدة سرايا[1]، حيث كانت المدينة تقع في طريق قوافل مكة من وإلى الشام.

[1] - السرية: عدد من المسلمين قليل أو كثير يرسله رسول الله ﷺ لقتال المشركين، ولا يخرج فيهم الرسول ﷺ بنفسه، ويقودها واحد من الصحابة يحدده رسول الله ﷺ.

وكانت قريش قد خرجت بقافلة ضخمة فيها نحو ألف بعيرٍ محملة بالأموال، التي نهبوها من المهاجرين، ومن أموال أغنياء قريش ووجهائها، وكان يقود هذه القافلة أبو سفيان بن حرب في أربعين رجلاً لحراستها، وكانت عائدة من الشام، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يترصدوها، وندب المؤمنين ليخرجوا في طلبها، لتكون ضربةً موجعةً للمشركين، وردَ اعتبارٍ للمسلمين وإظهارا لقوتهم، واستردادًا لما نهبه المشركون من أموال المسلمين عند الهجرة من مكة.

ولم يلْزِم رسول الله ﷺ أحدًا من أصحابه أو يجبرهم على الخروج معه، فخرج من خرج وبقي من بقى؛ لأنهم لم يكونوا يعلمون بتطوُّر الأحداث، ولم يظنُّوا أن رسول الله ﷺ والمؤمنين سيلقون حربا، وقال رسول الله ﷺ لأصحابه:

- هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعلَّ الله يهبها لكم غنيمة!

فتوجَّه المسلمون مطيعين، وخرجوا مع رسول الله ﷺ في الثامن من رمضان في عام 2هـ، بعد أن استعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ﷺ ليؤم المسلمين في الصلاة مكان رسول الله ﷺ.

وكان أبو سفيان خبيرا بالصحراء يسأل من يلقى من الركبان، ويرسل من يراقب له الطريق، فاستطاع بدهائه وخبرته أن يرصدَ تحرك المسلمين عند بدر، وغيَّر اتجاه سير القافلة من طريق سير القوافل المعروف إلى ساحل البحر، وانطلق مسرعا إلى مكة، وأرسل نذيرا يسبقه إلى قريش لنجدته، فأقبل الرجل على قريش عند الكعبة، فشقَّ ثيابه، وأخذ يلطم وجهه، ويضع على رأسه التراب، ويصرخ:

- يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد تعرض لها محمدٌ في أصحابه.. الغوث الغوث!

فتجهَّز مشركو مكة ، وخرجوا متجهين إلى الشمال تجاه بدر، لم يتخلَّف واحدٌ من أشرافهم، إلا أبا لهب لم يخرج، وأرسل مكانه رجلاً كان عليه دينٌ كبير له.

واستطاع أبو سفيان أن ينجو بالقافلة، ولمَّا وصل إلى مكة سالما أرسل رسولاً إلى جيش المشركين، فلحق بهم في الطريق لبدر برسالة، قال فيها:

- إنكم إنما خرجتم لتحرِزوا عيركم، ورجالكم، وأموالكم، وقد نجت فارجعوا!

وهمَّ جيش مكة بالرجوع، لكن أبو جهل أصرَّ على الخروج، وقال في غطرسة:

- لا نرجع حتى نأتي بدرا، فنقيم بها ثلاثة أيام ننحر الإبل، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف لنا المغنيات، وتسمع بنا العرب وبمسيرتنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداَ.

وانسحب الأخنس بن شريق مع حلفائه بني زهرة من جيش المشركين وكانوا ثلاثمائة رجل، وبقي تحت قيادة أبي جهل نحو الألف، فيهم مائتا فارس، وستمائة صاحب درع، وجمال كثيرة.

وعلم رسول الله ﷺ أن قريشًا قد حشدت للمسلمين جيشًا ضخما، وأن المسلمين مقدمون على حربٍ مؤكدةٍ، ويجب على المسلمين مواجهته بسرعة، فمن يضمن ألا يزحف جيش مكة إلى المدينة فيهاجمها؟

وأمام هذا التطور الخطير، استشار رسول الله ﷺ أصحابه، فأجمعوا أمرهم على الخروج لقتال المشركين قبل أن يتجرأوا على غزو المدينة، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال وأحسن، وقام عمر رضي الله عنه فقال وأحسن، وقام المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال:

- يا رسول الله، امضِ لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا ههنا قاعدون)، ولكن: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون...

فسرَّ رسول الله ﷺ سرورا كبيرا لحديث هؤلاء القادة الكبار، لكنهم جميعهم كانوا من المهاجرين، ورسول الله ﷺ يريد أن يعرف رأي الأنصار، الذين يشكلون أغلبية الجيش، فأعاد رسول الله ﷺ قوله:

- أشيروا عليَّ أيها الناس!

ففهم سعد بن معاذ ﷺ أن الرسول ﷺ يقصد بحديثه الأنصار، فقال ﷺ:

- لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقًا عليها ألا تنصرك إلا في ديارهم داخل المدينة لا في خارجها ، وإنّي أقول عن الأنصار وأجيب عنهم... امضِ يا رسول الله لما أردتَ، فوالذي بعثك بالحقِ لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلّف منا رجلٌ واحدٌ... ولعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينك، فَسرْ بنا على بركةِ الله!

فسرَّ رسول الله ﷺ سرورا عظيما، وقال ﷺ:

- سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين (القافلة أو النصر على المشركين).

فقد ذهبت القافلة ولم يتبق غير قتال الكافرين والنصر عليهم بإذن الله.

وواصل رسول الله ﷺ والمسلمون مسيرهم نحو بدرٍ، وردَّ الرسول ﷺ أبا لبابة ﷺ ليكون خليفته على المدينة، وكان جيش المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً (بضعة وثمانون من المهاجرين، ومائتان وواحد وثلاثون من الأنصار)، جميعهم مشاة، معهم فَرسان، أحدهما للزبير بن العوام ﷺ، والثاني للمقداد بن عمرو ﷺ، وسبعون بعيراً، يتناوب الرجلان والثلاثة الركوب على البعير الواحد، فكان أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف ﷺ يتعاقبون على بعير واحد، وكان رسول الله ﷺ، وعليٌّ، ومرثدٌ الغنوي رضي الله عنهما يتعاقبون على بعير واحد، بعد أن رفض رسول الله ﷺ محاولاتهما ليركب البعير وحده، قائلاً ﷺ:

- **ما أنتما بأقوى مني على المشي، وما أنا بأغنى منكما عن الأجر.**

وعسكر رسول الله ﷺ بجيشه وراء تل رملي كبير بالعدوة الدنيا قرب وادي بدر، وخرج رسول الله ﷺ مع أبي بكر ﷺ في عملية استكشافية، فعلما بوقت خروج جيش مكة، والطريق ا لذي يتحركون فيه، وأين يعسكرون.

ثم أرسل ثلاثة لاستطلاع خبر العدو: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص ﷺ، فذهبوا إلى بئر بدر فوجدوا غلامين يستقيان الماء[2] لجيش مكة، فأتوا بهما إلى رسول الله ﷺ،فسألهم عن جيش المشركين، فأخبراه بمكانه خلف الوادي بالعدوة القصوى، فسألهم الرسول ﷺ كم ينحرون من الإبل، فقالا:

- يوما تسعةً ويوما عشرا.

فقال رسول الله ﷺ:

- القوم عددهم بين التسعمائة والألف.

[2] - يستقي الماء: أي يبحث عنه ويطلبه لسقاية القوم.

وقسَّم رسول الله ﷺ جيشه إلى كتيبتين: كتيبة المهاجرين أعطى رايتها لعلي بن أبي طالب ﷺ، وكتيبة الأنصار أعطى رايتها لسعد بن معاذ ﷺ، وأعطى لواء الجيش لمصعب بن عمير ﷺ، وجعل رسول الله ﷺ على ميمنة الجيش الزبير بن العوام ﷺ على فرسه، وعلى الميسرة المقداد بن عمر ﷺ على فرسه، وجعل على مؤخرة الجيش قيس بن أبي صعصعة الأنصاري ﷺ.

وكانت القيادة العامة في يد رسول الله ﷺ كقائدٍ أعلى للجيش، وكانت رايتي كتيبتي المهاجرين والأنصار سوداوين، ولواء الجيش أبيض.

وأنزل الله تعالى مطرا على المعسكرين، كان سيلاً شديداَ على المشركين، فأوحلت الأرض تحت أقدامهم وكان سيرهم صعبا عسيرا فلم يستطيعوا التقدم، بينما كان رذاذًا خفيفًا على المسلمين فسكَّن الغبار، وثبَّت الأرض الرملية تحت أقدامهم.

وتقدَّم جيش المسلمين فسبقوا المشركين إلى آبار بدر، وعسكر المسلمون عند أقرب بئرٍ منها، فقام الحباب بن المنذر ﷺ يستأذن رسول الله ﷺ في المشورة، فقال ﷺ:

– يا رسول الله، أهذا المنزل أنزلك الله به، فلا نتقدمه أو نتأخر عنه؟ أم هو الرأي، والحرب، والمكيدة؟

قال رسول الله ﷺ:

– بل هو الرأي، والحرب، والمكيدة؟

فقال الحباب ﷺ:

– يا رسول الله، ليس هذا بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أقرب ماء من المشركين فنخربها، ونبني حوضًا للماء على بئرٍ واحدٍ، ثم نقاتلهم عليه فنشرب ولا يشربون.

فاستحسن رسول الله ﷺ رأي الحباب بن المنذر ﷺ، وأمر المسلمين بتنفيذه.

واقترح سعد بن معاذ ﷺ أن يبني المسلمون عريشًا[3] لرسول الله ﷺ يشرف على ميدان القتال، يكون مقرًا لقيادته، ويجهزون له ناقة سريعة يضعون عليها رحلاً مجهزاً للسفر، حتى إذا نزلت بالمسلمين هزيمة استطاع رسول الله ﷺ النجاة، فقال سعد بن معاذ ﷺ:

[3] - العريش: بناء بسيط من جذوع النخل وسعف النخيل.

- يا نبي الله، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونعد لك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله ونصرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كان غير ذلك جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوامٌ يا نبي الله ما نحن بأشدّ لك حبًّا منهم، ولو ظنُّوا أنَّك ستلقى حربًا ما تخلّفوا عنك، يمنعُكَ الله بهم، ويجاهدون معك.

فأثنى رسول الله ﷺ عليه، ودعا له بخير، وبنى المسلمون عريشًا لرسول الله ﷺ على تل مرتفع يشرف على ميدان المعركة، وتولّى سعد بن معاذ ﷺ وفرقةٌ من شباب الأنصار حراسةَ النبي ﷺ حوله.

وفي الليل نظّم رسول الله ﷺ جيشه، وجعل يمشي في أرض المعركة فيشير بيده، ويقول ﷺ:

- هنا سيقتل من المشركين فلان، وهنا سيكون مصرع فلان... غدًا بإذن الله.

فما أخطأ قتلى المشركين بعد المعركة المواضع التي حددها رسول الله ﷺ.

وبات رسول الله ﷺ ليلته يصلي ويدعو الله تعالى.

وأعطى الله تعالى المؤمنين آيةً عظيمة، فأنزل عليهم النعاس فناموا نوما هنيئاً مطمئناً، فذهب الخوف عن قلوبهم، وارتاحت أجسامهم من مشقة المسير، وكان تقوية لهم استعداداً للمعركة.

وفي صباح يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان 2هـ نزلت كتائب المشركين إلى وادي بدر، وأصرَّ أبو جهل إصرارا شديداً على خوض المعركة، على الرغم من رغبة البعض العودة إلى مكة، وفي النهاية استجاب قومه له في فساد رأيه.

واصطف الجيشان كل منهما أمام الآخر، المسلمون خرجوا في سبيل الله وطاعةً لرسوله ﷺ، في مواجهة الكافرين بتكبرهم، وعنادهم، وغرورهم، وهم في ثلاثة أضعاف جيش المسلمين في العدد، وكثيرٍ من الفرسان، والسلاح ومعدات الحرب، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال:

- اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها[4] وفخرها تحادّك وتكذّب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدت.

ودعا رسولُ الله ﷺ عليهم.

وبدأ رسول الله ﷺ ينظّم جيش المسلمين، بصورةٍ لم تعرفها العرب في القتال من قبل، فقد جعلهم صفوفًا، ومرَّ عليهم يساوي بينهم كصفوف المصلين.

وبينما كان رسول الله ﷺ يسوِّي الصفوف، كان سوادَ بن غزية ﷺ متقدما قليلاً عن الصف، فطعنه رسول الله ﷺ في بطنه برفق بعودٍ في يده، وقال ﷺ:

- استوِ يا سواد.

فقال سوادَ ﷺ:

- يا رسول الله، أوجعتني، فخذ لي حقي منك يا رسول الله ﷺ.

[4] - الخيلاء: الغرور والتكبر.

وما كان رسول الله ﷺ الذي يعلّم أمَّتَه العدل إلا أن يستجيب، فكشف له رسول الله ﷺ عن بطنه، ليأخذ بحقه كما قال، وما كان لسواد أن يؤذي رسول الله ﷺ الذي كان يحبه أكثر من نفسه، وأهله، وأولاده، وكان على استعداد أن يضحي بحياته من أجله، فعانقه سواد ﷺ وقبَّلَه، فقال رسول الله ﷺ:

- ما حملك على فعل هذا يا سواد؟

قال سواد ﷺ:

- يا رسول الله، نحن مقدمون على ما ترى، أردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك.

فدعا له رسول الله ﷺ بخير.

ووقف المسلمون أمام حوض الماء الذي صنعوه يمنعون المشركين عنه، فتقدَّم الأسودُ بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شرسا سيء الخلق، فأقسم أن يشرب من الحوض أو يهدمه، فلقيه أسد الله حمزة ﷺ فقتله في الحوض، فكان أول قتيل في صفوف المشركين.

وخرج ثلاثة من كبار فرسان المشركين، وكانوا من عائلة واحدة: عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبه، وابنه الوليد بن عتبة، وطلبوا المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار، فرفض المشركون مبارزتهم، وقالوا:

- يا محمد، أخرج لنا من قومنا من يكافؤنا!

فقال رسول الله ﷺ:

- قم يا عبيدة بن الحارث! قم يا حمزة! قم يا علي!

فبارز عبيدة بن الحارث ﷺ عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة ﷺ شيبة بن ربيعة، وبارز عليٌّ ﷺ الوليد بن عتبة، فأمَّا حمزةُ وعليٌّ رضي الله عنهما فقتلا شيبة والوليد، وأمَّا عبيدة ﷺ وشيبة فأصاب كل منهما الآخر، ثم قتل حمزةُ وعليٌّ رضي الله عنهما شيبةَ وحملا عبيدةَ مصابا، فمات رضي الله عنه أثناء عودة المسلمين إلى المدينة بعد المعركة.

وبعد أن شاهد المشركون مقتل فرسانهم الثلاثة اشتعلت في قلوبهم نار الحقد على المسلمين فهاجموهم، فأمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يلزموا أماكنهم، ويحافظوا على تماسكهم ووحدتهم، وأن يرموا المشركين بالنبال، ولا يهاجموهم حتى يأمرهم رسول الله ﷺ، فصمدوا صمود الأبطال وتصدُّوا لهجوم الكافرين، واستشهد من صفوف المسلمين مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أصابه سهم فقتله، فكان أول من استشهد من المسلمين.

وقف رسول الله ﷺ أمام عريشه يدعو ربه:

- اللهم وعدك التي وعدتني... اللهم إن تهلك هذه العصابة[5] – يقصد المسلمين- اليوم لا تُعبد في الأرض، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدًا...

واجتهد رسول الله ﷺ في الدعاء يرفع يديه إلى السماء حتى سقط رداؤه من فوق كتفيه، وأبو بكر ﷺ إلى جانبه يطمئنه ويواسيه، فأنزل الله تعالى عليه قرآنا يثبته ويبشره بالنصر، وأنزل الله الملائكة، فقال رسول الله ﷺ:

- أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آراه آخذًا بعنان فرسه يقوده...

وأنزل الله جبريل عليه السلام وألفًا من الملائكة متتابعين مددًا للمسلمين وتأييدًا لهم، وأمرهم الله تعالى أن يثبتوا المسلمين، ويقاتلوا المشركين معهم، وقذف الله الرعب في قلوب الكافرين.

[5] - العصابة: الجماعة من الناس.

وأخذ رسول الله ﷺ حفنة من التراب فألقى بها في وجوه الكافرين فما من أحدٍ منهم إلا وأصابت عينيه، وأخذ رسول الله ﷺ يحرِّضُ المسلمين ويشجِّعهم على القتال، فقال ﷺ:

- والذي نفس محمدٍ بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا[6] مقبلاً غير مدبر (ثابتًا لا يفر ولا يعطي العدو ظهره) إلا أدخله الله الجنة... قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض!

فقام عمير بن الحمام ﷺ، وكانت بيده تمرات، فقال ﷺ:

- لئن حييتُ حتى آكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة.

فرمى بهذه التمرات من يديه، وقاتل حتى استشهد ، وتقدم المسلمون يقاتلون بحميَّةٍ وشجاعةٍ كبيرةٍ، ونصرتهم الملائكةُ ، بالتثبيت والقتال يقطعون رقاب الكافرين وأيديهم بأسيافهم.

---

[6] - محتسب: يطلب الأجر من الله.

وكان عدوُّ الله إبليس يشهد المعركة في صورة سراقة بن مالك سيد بني كنانة، صحب جيش قريش في أول المعركة، وقال أنه حليف قومه معهم، وأن قومه سيخرجون ليحموا قريش من الخلف حتى لا تهاجمها قبيلة أخرى من أعدائها أثناء خروجها لقتال المسلمين ، فلما رأى الملائكة وما تفعله بالمشركين فرَّ هاربا، وهو يقول:

- إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله، والله شديد العقاب.

وأظهر المسلمون بطولات عظيمة، وشجاعة كبيرة، فكان أسد الله حمزة بن عبد المطلب ﷺ في مقدمة الجيش يقاتل بسيفه في شجاعة وقوة، ويفعل بالمشركين الأفاعيل، وقاتل عمر بن الخطاب وأخاه زيد رضي الله عنهما بغير دروع كلٌّ منهما يريد الشهادة، ووقف أبو بكر ﷺ شاهرا سيفه يحمي عريش رسول الله ﷺ، ويدافع عن رسول الله ﷺ، ويتصدى لكل من يقترب منه.

وكان الزبير بن العوام ﷺ على الميمنة يقاتل على فرسه بشجاعة لا تُوصف، حتى أن الملائكة كانت تتشبه به وبزيه، فنزلوا في غزوة بدر على صورة فرسان وعمائم صفراء مثله على رءوسهم، وقتل الزبير ﷺ عدوَّ الله عبيدة بن سعيد بن العاص الذي خرج بدروع تغطي جسمه كله، عدا عينيه، فطعنه الزبير ﷺ في عينيه فقتله.

وظهرت بطولات المهاجرين، أمثال: علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن جحش، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وبلال، وصهيب، وعمار بن ياسر، وغيرهم ﷺ، وجاهد الأنصار جهاداً عظيما، أمثال: سعد بن معاذ، وأبي طلحة، وأبي دجانة، وعباد بن بشر، وأبي أيوب الأنصاري، وعاصم بن ثابت، وغيرهم ﷺ.

وكان عكاشة بن محصن ﷺ يحارب بسيفه فانكسر السيف، فأعطاه رسول الله ﷺ فرعاً من حطب، فصار في يده سيفاً حديديًّا طويلاً، لم ير أحد في مثل بريقه ولا قوته، معجزة لرسول الله ﷺ، وظلَّ هذا السيف مع عكاشة ﷺ يقاتل به حتى استشهد رضي الله عنه في حروب الردَّة.

ودبَّ الرعب والفشل في صفوف المشركين، وأخذَ أبو جهل يقاتل وحوله عددٌ كبير من المشركين في عنادٍ ومكابرةٍ، وكان عبد الرحمن بن عوف ﷺ في المعركة عن يمينه وشماله غلامان من الأنصار، هما: معاذ بن عمرو بن الجموح وأخوه معاذ بن عفراء رضي الله عنهما، وسأله كل منهما سرًّا من أخيه:

- يا عمي، أرني أبا جهل فقد بلغني أنه يسبُّ رسول الله ﷺ، وقد عاهدتَ الله إن رأيته أن لا أتركه حتى أقتله أو يقتلني.

فانطلقا إليه كصقرين، فضربه كل منهما بسيفه ضربةً أسقطته من فوق فرسه قتيلاً.

وهُزم المشركون هزيمة ساحقة، فقُتل منهم سبعون، منهم: أبو جهل، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وحنظلة بن أبي سفيان، وأمية بن خلف، وأبي بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وغيرهم من فرسان قريش، وأُسر سبعون.

وطلب الرسول ﷺ أن أتوه بخبر زعيم المشركين أبي جهل، فقال ﷺ:

- من ينظر ما صنع أبو جهل؟

فتفرَّ ق المسلمون في طلبه، فوجده عبد الله بن مسعود ﷺ وبه رمق، فقتله، ثم جاءه رسول الله ﷺفقال ﷺ:

- الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده...

وأشار رسول الله ﷺ إلى أبي جهل، وقال ﷺ:

- هذا فرعون هذه الأمة.

ووقف رسول الله ﷺأمام قتلى المشركين، فقال ﷺ:

- بئس العشيرة كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس...

ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين فسحبوهم إلى القليب (بئر جافة) وألقوهم فيه، وأغلقوه عليهم بالحجارة.

وبعد أن نزلت بالمشركين الهزيمة فرَّوا من ساحة المعركة على غير نظام مذعورين إلى مكة، لا يدرون كيف يدخلونها خجلاً.

ونزلت أخبار الهزيمة، وما أصابهم من قتل وأسرٍ كالصاعقة على رءوس مشركي مكة، وكان أبو لهب ممن تخلف بمكة عن المشركين في بدر، فجاءه الخبر وهو جالس عند الكعبة، فلم يصدق ما جرى لقومه، وبينما هو جالس إذ رأى أبا سفيان بن الحارث، وكان قد شارك مع المشركين في بدر، فناده أبو لهب، وسأله عما حدث، واجتمع الناس من حوله، فقال أبو سفيان بن الحارث:

- ما إن التقينا بهم حتى انسحبنا من أمامهم، فكانوا يقتلون منا كيف شاءوا، ويأسرون كيف شاءوا، وما لمتُ الناس، فقد لقينا رجالاً بيض الوجوه على خيولهم لايقف أمامهم شيء.

فقال أبو رافع ﷺ خادم العباس بن عبد المطلب ﷺ، وكان يسمع لحديثهما:

- تلك والله الملائكة!

فرفع أبو لهب يده، فلطمه على وجهه، وظل يضربه ضربا شديدًا حتى أسقطه على الأرض، وسقط فوقه، ولم يتركه، فقامت أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما فضربت رأسه بعمودٍ خشبي حتى شجَّته، وهي تقول:

- يا أبا لهب، استضعفته لما غاب سيده!

فقام أبو لهب ذليلاً مغموما إلى بيته، وأصابه مرضٌ معدٍ فماتَ بعد سبعة أيام، فتركه أبناؤه خوفًا من العدوى ثلاثة أيام حتى أصبح جيفة منتنة، فدفعوه بعود إلى حفرة حفروها له، فقذفوه فيه، ثم أهالوا عليه الحجارة.

وأقام رسول الله ﷺ ومن معه ببدر ثلاثة أيام فدفنوا شهداء المسلمين، وكانوا أربعة عشر رجلاً: ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار.

وانطلق رسول الله ﷺ بجيشه المنتصر في طريقه إلى المدينة، فلما وصلوا موضعا يسمى الصفراء قرب المدينة أنزل الله تعالى عليه آيات تقسيم الغنائم في سورة الأنفال، فقسَّمها رسول الله ﷺكما أراد الله.

وسار رسول الله ﷺوأصحابه ﷺ إلى المدينة منتصرين يسوقون سبعين من أسرى المشركين، ثم قبل رسول الله ﷺ منهم الفداء بالمال، ومن لم يكن معه مال ليفتدي نفسه أمره بتعليم عشرةٍ من غلمانِ المسلمين الكتابة، ويكون ذلك فداء له.

وكان أبو العاص بن الربيع زوج زينب ابنة رسول الله ﷺ في الأسرى، فأرسلت زوجته زينب إلى رسول الله ﷺ لتفتديه بقلادتها التي ورثتها عن أمها خديجة رضي الله عنها، فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة عرفها، ورقَّ لها رقة شديدة، واستأذن أصحابه في إطلاق سراحه، ففعلوا، وأطلقه رسول الله ﷺ بعد أن فارق زينب رضي الله عنها، ثم أسلم أبو العاص بعدها وحسن إسلامه، وعادت له زوجته.

وكان العباس عم النبي ﷺ ورجال من بني هاشم قد أسلموا سرًّا وخرجوا إلى المعركة مع المشركين مكرهين، فأمر الرسول ﷺ أصحابه إذا لقوا واحداً منهم ألا يقتلوه، وأسر المسلمون العباس بن عبد المطلب ﷺ، فلما سمع رسول الله ﷺ أنينه في الليل في قيده بكى ﷺ، ورقَّ له، وأمر بحل قيده وقيود جميع الأسرى وأحسن معاملتهم، وقال ﷺ:

- استوصوا بالأسارى خيرا.

وكان في الأسرى سهيل بن عمر وكان خطيب قريش يؤذي الرسول ﷺ والمسلمين بكلامه، فأشار أحد أصحاب النبي ﷺ أن يكسر اثنتين من أسنانه الأمامية فلا يستطيع أن يخطب في الناس، فرفض رسول الله ﷺ، ونهى عن التمثيل بالقتلى وتشويههم خوفًا من عقاب الله، قال ﷺ:

- لا أمثِّلُ به فيمثِّل الله بي ولو كنتَ نبيًّا.

ولم يشهد غزوة بدر طلحةُ بن عبيد الله، وسعيدَ بن زيد رضي الله عنهما، كان رسول الله ﷺ قد أرسلهما ليتجسسا أخبار القافلة، فظلا في موضعهما ولم يشهدا الغزوة، فأعطاهما رسول الله من الغنيمة، وعدَّهما من أهل بدر، كما تخلف عن الغزوة عثمان بن عفان ﷺ بأمر رسول الله ﷺ ليمرِّض[7] زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، فلما عاد رسول الله ﷺ كانت قد ماتت رضي الله عنها، واعتبره رسول الله ﷺ من أهل بدر، وأعطاه من غنيمتها تماما مثل من حضر القتال.

---

7 - مرَّضه: داواه وعالجه.

ومرَّ رسول الله ﷺ في طريقه بأمِ حارثة بن سراقة ﷺ أول من استشهد من المسلمين في الغزوة وكان يراقب تحركات جيش قريش، فأصابه سهم فقتله، فجاءته مسرعة، فقالت رضي الله عنها:

- يا رسول الله، قد عرفتَ منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن كان غير ذلك ترى ما أصنع من البكاء والعويل.

فقال رسول الله ﷺ:

- ليست جنة واحدة، إنها جنات كثيرة، وإنه في جنة الفردوس.

لقد رضي الله تعالى عن من حضر بدرا من المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: "إنَّ الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"، وقال ﷺ: "لن يدخل النار رجل شهد بدرا"، فكيف بمن رزقه الله الشهادة فيها؟!

ودخل رسول الله ﷺ المدينة بالنصر والفتح، وأقبل عليه الصحابة يهنئونه، وتخوف أعداء المسلمين من قوة المسلمين في مكة وخارجها، وأخزى الله اليهود والمنافقين في المدينة.

وفي هذا العام 2هـ كان الله قد فرض الصيام على المسلمين في رمضان، فقاتلوا في غزوة بدر وهم صائمون، ثم جاء عيد الفطر هو أول عيد للمسلمين، شهدوا فيه هذا النصر المبين، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون فرحين يرفعون أصواتهم بالتكبير، والحمد، والشكر لله تعالى الذي نصرهم على أعدائهم الكافرين، ومكّن لدينه في الأرض.